10/5/2023

تفريد التعليم

Prof- Dr. Sumaia Eid Alzaboot
Cultural Thinking Association for Giftedness & Creativity

تفريد التعليم

مقدمة

إن سمة الاختلاف تعيش بيننا ومعنا في كل مكان وزمان، فنحن مختلفون في الأشكال، والألوان، والألسنة ، والعقائد ، والأوطان، ومختلفون في مداخل المعرفة ، وأساليب انتهاجها، ومختلفون في طبيعة التفكير، وأنواع الذكاءات، والممارسات المعرفية، والذهنية ، والسلوكات الاجتماعية؛ ما يُشير إلى أن الاختلافَ فينا يُسطر منهج التنوع في بشريتنا.

وفي ذات السياق؛ فإن هذا الاختلاف لا يكون بعيدًا عن طلبة العلم، فالطلبة يختلفون في استعدادهم للتعلم، ودافعيتهم للمعرفة، ويختلفون في ميولهم، وتوجهاتهم، ورغباتهم، وفي مستوياتهم اللغوية، وفي أنماط التعلم المفضلة لديهم، ومختلفون في مستوى حاجاتهم إلى التعلم ، فإذا تمت العملية التعليمية بطريقة واحدة، وتشابهت الوسائل، والأساليب، والأهداف؛ فسوف يُؤدي ذلك إلى اللاتوازن المعرفي، والتراجع العلمي، والهشاشة الثقافية؛ نظرًا لتجنب اعتماد الفروق بيننا، التي هي أساس طبيعتنا البشرية.

وهذا ما يُشير إلى أن كلَّ طالب فريدٌ من نوعه، ومختلفٌ عن غيره ، ما يُؤكد ضرورة التنويع في مصادر التعلم، وفي استراتيجيات التعليم، وإتاحة حرية الاختيار للطالب في التعلم الذاتي الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بتفريد التعليم؛ الأمر الذي يُسهم في تنامي دافعية الطلبة للتعلم.

ويُمكن القول إن تفريد التعليم يعتمد مبدأ : أن الطالب هو محور العملية التعليمية التعلّمية، وأعجبتني في ذلك مقولة مدارس الآيزو الموجهة إلى الطالب: " أيها الطالب لا نرى إلا أنت " ؛ إذ توضح هذه المقولة مدى اهتمام العملية التعليمية بحاجات الطالب الخاصة به، ونمط تعلمه، ونمط ذكائه، وميوله، ورغباته، ومرحلته العمرية، وبما يتوافق مع التطور في مجالات حياته كافة.

وفي ذات السياق، فإن تفريد التعليم يُمثل أنموذجًا علميًا ، يخدم المراحل العمرية كافة، من مرحلة التمهيدي، (ما قبل المدرسة) إلى مرحلة الدراسات العليا ، فهو أنموذج علاجيٌ يرتقي بكل طالب علم ، بصورة فردية؛ تجسيدًا لشعار : " لا نرى إلاّ واحدًا".

نشأة تفريد التعليم:

نشأ تفريد التعليم في القرن العشرين، عندما أكد برستون سيرس على أن يتم تعليم كل طالب بمفرده، وفق مقدرته الخاصة، ويتمثل دورُ المعلم في تقديم المساعدة، عندما يطلبها المتعلمُ أو يكون بحاجة لها ، ويرجع الفضل في التقدم الذي لاقاه تفريد التعليم إلى جهود العالم سكينر (Skinner)، عندما قدم أفكارَه حول استخدام الآلات التعليمية فى ميدان التعليم، ولكي يتم تنفيذ هذه الأفكار، يرى سكينر أنه يمكن تقسيم المحتوى التعليمي إلى خطوات تفصيلية صغيرة متسلسلة الخطوات، ومتدرجة من السهل إلى الصعب، بحيث يتبع كل خطوة من الخطوات التعليمية تقديم تغذية راجعة فورية ، بوصفها تعزيزًا لاستجابة المتعلم الصحيحة ، كما أن تقسيم محتوى التعلم إلى وحدات صغيرة تساعد على إتقان المتعلم لها، ويتم التأكد من ذلك بعد الانتهاء من دراسة كل وحدة ، بدلاً من الانتظار حتى نهاية التعلم للمحتوى التعليمى كله.

تعريف تفريد التعليم:

يُعرف تفريد التعليم بأنه: نشاط تعليمي يقوم به المتعلمُ مدفوعًا برغبته الذاتية، من أجل تنمية استعداداته وإمكاناته، وقدراته، مستجيبًا لميوله، واهتماماته؛ بما يحقق تنمية شخصيته ، وتكاملها، والتفاعل الناضج مع مجتمعه عن طريق الاعتماد على نفسه، والثقة بقدراته في عملية التعليم والتعلم . (السلطاني، 2018)

وهو سلسلة من الإجراءات التعليمية التعلّمية، تشكل بمجملها نظامًا يهدف إلى تنظيم التعلم، وتيسيره للمتعلم، بأشكال مختلفة، بحيث يتعلم ذاتيًا بدافعية فاعلة، وإتقان، وفقًا لحاجاته، وقدراته، واهتماماته، وميوله، وخصائصه النمائية. (الحياني و محمد، 2019)

وهو مجموعة من الإجراءات لإدارة عملية التعليم، بحيث يندمج المتعلم بمهمات تعليمية تتناسب وحاجاته، وقدراته الخاصة، ومستوياته المعرفية، والعقلية، ويهدف إلى تطويع التعلم وتكييفه، وعرض المعلومات بأشكال مختلفة تتيح للمتعلم حرية اختيار النشاط الذي يناسبه من حيث، خلفية المعرفة السابقة لديه، وسرعة تعلمه، ونمط تعلمه، بهدف تحقيق الأهداف المرغوب فيها إلى درجة الإتقان، وضمن إشراف محدود من المعلم. (خضر، 2016)

العوامل المسببة لتفريد التعليم:

من العوامل المسببة لتفريد التعليم كما يراه بعض الباحثين الآتي: (خضر، 2016)

الفروق الفردية : إن الاختلاف في الميول، والقدرات الخاصة، والتوجهات، والرغبات، والاهتمامات، كذلك الاختلاف في طبيعة الحواس التي تُسهم في عملية التعلم، مثل: السمع، والبصر، واللمس، والحدس، والتذوق،

والشم؛ نظرًا لاختلاف المقدرة عن الاستجابة، بسبب طبيعة البنية الطبيعية، والعقلية؛ ما يُؤكد أهمية التوجه إلى تفريد التعليم، والبحث عن أساليب جديدة؛ للارتقاء بعمليتيّ التعلم والتعليم.

تنامي أعداد الطلبة في قاعات الدرس: لقد أدى تنامي أعداد الطلبة، وازديادها في الغرفة الصفية، إلى تدني نوعية التعليم بشكل عام، وتبعه تدني التحصيل الأكاديمي، الأمر الذي جعل هناك فجواتٍ كثيرة تُشير إلى وجود مشكلة؛ ولعل اللجوء إلى تفريد التعليم من أفضل الأساليب لحل المشكلة؛ والارتقاء بالتعليم نحو الأفضل ؛ كونه يعتمد التعليم الذاتي للطلبة، بمواد مطبوعة، ومواد سمعية، ومواد بصرية؛ تُمكن المعلمَ من توصيل المادة التعليمية للطلبة، وفق مقدرتهم، ووقتهم المناسب، سواء أكان صفًا، أو مجموعة من الطلبة في الصف؛ إذ يُسهم ذلك في حل المشكلات الناجمة عن تنامي أعداد الطلبة في الغرفة الصفية، ويُسهم في حل المشكلات الناجمة عن تدني مستوى التحصيل الأكاديمي للطلبة، كذلك يعالج مشكلة النقص الحاصل في أعداد المعلمين.

التغيير الحاصل في عمليتيّ التعلم والتعليم: إن التعليم المستمر يعتمد الدراسة الذاتية، والاطلاع على مستجدات مناهل المعرفة؛ لذا فإن عملية التدريب أصبحت برنامجًا ملازمًا لكثير من البرامج التعليمية، لمختلف شرائح المجتمع: سواء أكانوا أفرادًا أم مؤسسات؛ كونه يستخدم برامج تفريد التعليم، ويتيح تعلم المواد عن طريق التدريب في وقت قصير.

توافر الفرص التعليمية لكل طالب علم : يتم ذلك في حال إتاحة الفرص لمن لديه الرغبة في التعلم، وفق توجهه، ومقدرته، إذ يُعد ذلك حقًا مشروعًا، وواجبًا أخلاقيًا.

الاعتماد على النفس واستقلالية تفكير المتعلم : يُعد الاعتماد على النفس، واستقلالية تفكير المتعلم من العوامل المسببة لاستقلالية طالب العلم، وتحقيق ذاته، ويسهم تفريد التعليم في تنمية التفكير، واستقلاله؛ إذ إن تفريد التعليم يكون قائمًا على ذاتية المتعلم، واختياره الفردي لوسيلة التعلم ، ومكانها ، والوقت الذي يناسبه ؛ ما يُثيرُ الحماس لديه، ويُطلق الحافز الذي يدفعه لأداء جيد.

التقدم العلمي، والمستجدات المعرفية: إن هدف مسيرة تفريد التعليم هو مسايرة التقدم المعرفي والاستفادة من التطور في مجال نقل المعرفة، الأمر الذي دفع كثير من المؤسسات التربوية إلى توظيف التكنولوجيا، وإدخال تقنياتها الدقيقة في برامج تفريد التعليم ، عن طريق برامج معدة لذلك.

تنمية الإبداع: يُعد تفريدُ التعليم مناسباً؛ لتلبية الحاجات الإبداعية لدى الطلبة؛ فهو يُسهم في مساعدة الطلبة بدافعيتهم الذاتية، وبجهدهم المبذول في تنمية هذا الإبداع ؛ لتحقيق الرضى عن الذات.

أهداف تفريد التعليم:

من الأهداف التي يسعى تفريد التعليم إلى تحقيقها الآتي: (مرعي و الحيلة، 1998)

1. الحد من جوانب الضعف، والقصور التي اتصفت بها الأنظمة التعليمية.
2. الاستزادة التعليمية، والثقافية المستمرة: يؤدى ذلك إلى زيادة ثقافة الفرد، وتمكينه من تأدية واجباته الاجتماعية، والمهنية على الوجه الأفضل؛ ما يؤدي إلى زيادة الإنتاج، وتقدم المجتمع، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص وفق الإمكانات، والطموحات؛ ما يُسهم في تمكين الطلبة في مختلف مراحل العمر من التعليم الذي يساعدهم على التكيف، والقدرة على مواكبة التغير، والإفادة من المستحدثات الإبتكارية المتلاحقة.
3. تنمية روح التعاون، والابتكار التي تُسهم في تكوين مجتمعٍ إنساني عالميّ.
4. تمكين المتعلمين في التخلص من الاتجاهات االتقليدية للتعليم ، والنظر إلى التربية بوصفها نشاطًا طبيعيًا ممتعًا؛ يُسهم في تحقيق التنامي العلمي، والمعرفي، والثقافي، وما إلى ذلك.
5. مساعدة المتعلمين في مواجهة التغيرات الحضارية، والإجتماعية، والتكنولوجية، في مجالات الحياة كافة؛ لتحقيق التكامل بين الإنسان والبيئة بهدف النهوض بها ، والإفادة منها.
6. إيجاد توازن بين الأنشطة : بحيث يتمكن المتعلم من توزيع الوقت لأعماله، ومهامه، مثل: وقت للتعلم، ووقت للعمل، ووقت للاسترخاء، ووقت للسفر، ووقت للنوم، وما إلى ذلك.

مجالات تفريد التعليم:

يَعتمدُ تطبيق تفريد التعليم المجالات الآتية:

- تفريد الأهداف التعليمية: هو المجال الذي يساعدُ الطلبة في التعرّف على الطريقة التي تناسبهم في الدراسة، عن طريق وضع خطةٍ دراسية تحتوي على مجموعةٍ من الأهداف، ومن ثم يطلبُ منهم المعلم اختيار الأهداف التي تناسبهم؛ ليحقّقها في المدة الزمنية المقررة للدراسة.
- تفريد محتوى المادة الدراسية: هو المجال الذي يَسعى إلى توفيرِ المواد الدراسية التي تتناسبُ وقدرات الطلبة، وتراعي الفروق الفردية بينهم، وقدراتهم الإدراكية المختلفة.
- تفريد طرق التعليم ، ووسائله: هو المجال الذي يُتيح للطلبة اختيار الطريقة التعليمية المناسبة، ولا تُفرضُ عليهم أي طُرقٍ تدريسية أخرى، سواء أكان ذلك مِن المعلمين، أم من الإدارة المدرسية.

- ❖ تفريد تقييم التعلم: هو المجال الذي يدعمُ المعلّمين في تقييمِ المتعلمين، ويشجعهم في تطبيق التنويع في التقييم ، ويشمل ذلك: الامتحانات، والنشاطات، والمُشاركة الصفية، وإعداد الأبحاث، وغيرها .

خصائص تفريد التعليم :

يتميزُ تفريد التعليم بمجموعةٍ من الخصائص، وهي: (موافي، 2006)

- ❖ يربطُ تفريد التعليم نجاح التعليم بالمتعلمين؛ إذ ينبغي على المعلمِ الاهتمام بجعلِ المتعلمين محور العملية التعليمية التعلّمية، فهم الذين يساهمون في تطبيقِ المادة الدراسية بنجاح.
- ❖ يهتمُ تفريد التعليم بفكرةِ التعلم الذاتي، التي تعتمدُ دراسةِ المتعلم لمواده الدراسية؛ وفقاً لمهاراتهِ الشخصية، مع وجود توجيه مباشرٍ من المعلم.
- ❖ يحرصُ تفريد التعليم على إتقان المتعلم للمهارات التعليمية كافة، لكُلِ مادةٍ دراسية، خاصة المواد التي تحتاجُ إلى متابعةٍ، وتفكيرٍ دائم، مثل: مادتي الرياضيات، والفيزياء.
- ❖ يُسهم تفريد التعليم في تعزيزِ دور المعلّم في تنظيمِ إدارة الصف، عن طريق اعتماد مجموعةٍ من الاستراتيجيّات أثناء التعامل مع المتعلمين؛ بطريقةٍ تتناسبُ ومُستوياتهم الدراسية.

أشكال تفريد التعليم:

تمثلت أشكال تفريد التعليم وصوره، بالآتي:

نظام التعليم الشخصي : تبلورت فلسفة التعليم الشخصي حول فكرة ، أن كل طفل هو مميز، وكذلك مسيرته نحو النجاح مميزة، هكذا كان يُفكر (ماكس فينتيللا)، أحد الإداريين التنفيذيين السابقين بشركة "غوغل" العملاقة، عندما كان يبحث عن مدرسة متميزة لابنته، إذ لم يجد مراده في المدارس الموجودة بمدينة سان فرانسيسكو، ومن وجهة نظر فينتيللا، أن النظم التعليمية الحالية لا تؤهل الطلبة لمتطلبات العقود القادمة من القرن الواحد والعشرين.

بناءً على ذلك، أنشأ مدرسة (ألت)، وتعمل إدارة المدرسة مع التربويين والمعلمين جنباً إلى جنب مع أولياء الأمور، والطلبة، على تصميم خطة التعليم الشخصي لكل طالب ؛ بناء على قدراته الشخصية ، واهتماماته، واحتياجاته، وبذلك، يتمكن كل طالب من تحصيل المعارف الأساسية، والمهارات الاجتماعية، والعاطفية، والعقلية المختلفة، لكي يصبح ناجحًا في المستقبل عن طريق مسار دراسي خاص به .

ويتم ذلك ، باستخدام أداتين رئيستيْن هما: "الصورة الشخصية" ، وقائمة التشغيل، إذ تمثل "الصورة الشخصية" معلومات الطالب كافة، وأدائه الأكاديمي ، وغير الأكاديمي، عبر متابعة دقيقة لما يمارسه من أنشطة داخل المدرسة، ما يساعد على تحديد اهتمامات الطالب، وطرق تعلمه من أجل تصميم خطة تعلمه الشخصية بصورة دقيقة، أما قائمة التشغيل، فتتضمن الأنشطة التي على الطالب القيام بها، للوصول إلى أهداف خطة التعليم الشخصي، التي يقوم بتصميمها وإعدادها المعلمون، إذ تحتوي تلك القائمة قرابة 25 نشاطًا كل أسبوع، وتضمن مهامًا متعددة، تتنوع بين الأنشطة الفردية، والجماعية.

التعليم المبرمج: يتكون التعليم المُبرمَج من نماذج للتدريس يتمّ تصنيفها وِفقاً لجدول زمنيّ، بحيث يَسمح بتقييم الاستجابة الأولية، والنهائية للمُتعلّم مع مراعاة التدّرج في تقديم المعلومات، بالإضافة إلى تقييم الاستراتيجيات التعليمية المستخدَمة، وقد أصبح استخدام أسلوب التعليم المُبرمَج شائعاً في الوقت الحاضر؛ إذ تمّ إنتاج كثير من المواد التعليميّة المبرمجة ، وشمل التعليم المبرمج نوعين: البرمجة الخطية، التي يتمّ عن طريقها عرض عناصر التسلسل التدريجيّ، بمعنى تُمثّل البداية خطوات تعلُّم صغيرة من أجل الوصول إلى المرحلة الأخيرة التي تُمثّل مستوى الإتقان.

أما النوع الثاني فيتمثل بالبرمجة المُتفرعة : التي يتم عن طريقها تقديم عرض لعناصر سلسلة تراجعية، بمعنى أنَّ الخطوة الأولى تُمثّل مستوى الإتقان، فيما تُمثّل الخطوة الأخيرة أبسط خطوة في تلك السلسلة، ويُلاحظ أن هذا النوع من التعليم المُبرمَج يُقدّم جزءاً كبيرًا من المعلومات مُقارنةً بالبرمجة الخطيّة.

التعليم باستخدام الحاسوب: أصبحت عملية استخدام الحاسوب في التعليم عملية مهمة، فاستخدامه لم يقتصر على جانب واحد بحدّ ذاته، فقد تمّ استخدامه في المجالات الحياتية كافة، مثل الصحيّة، والتعليمية، والزراعيّة، والعسكريّة، والترفيهيّة، وغيرها من المجالات، وفي التعليم هناك توجّه نحو فكرة إشراك الطلبة في العملية التعليمية، والابتعاد عن طريقة التدريس التلقيني الذي يعتمد تلقين المعلومات من قبل المعلم في حين يقتصر دور الطالب في تلك الطريقة على الحفظ، وذلك من شأنه خلق جيلٍ أقلّ إنتاجيّة للمجتمع، الأمر الذي يدعو إلى دعم التعليم باستخدام الحاسوب، وتشجيعه؛ إذ يعتمد الطالب بشكل رئيس، ويجعل من الطالب محور العمليّة التعليميّة، ويعدّ الحاسوب وسيلة فاعلة تساعد الطلبة في جمع المعلومات، واستخدامها، وعرضها، بطريقة إبداعيّة؛ ما يُسهم في تعزيز ثقة الطالب بنفسه؛ لما ينتجه ويقدّمه للآخرين.

الفيديو التفاعلي: يُعَدُّ الفيديو التفاعلي من أبرز مستحدثات تكنولوجيا التعليم التي ظهرت بعد دخول الحاسوب مجال التعليم، إذ يتمتع بالجمع بين مزايا كل من الحاسوب، والفيديو في آن واحد، ويوفر الفيديو التفاعلي صوراً للعالم الحقيقي بشكل غني بالمعلومات.

كما يقدِّم الفيديو رسائل تعليميةً واقعيةً في صورة سمعية بصرية (المحتوى) بينما يوفر الكمبيوتر (بيئة تفاعليةً) تسمح للمتعلم بالتحكم في سير البرنامج وفقاً لتقدمه الذاتي، ولذلك؛ فالبرمجيات المقدَّمة عن طريق هذه التقنية؛ هي في الواقع برامج تفاعلية مقسمة إلى أجزاء (وحدات) صغيرة، تتكامل معاً، وتتكون من عدة تتابعات حركية ومؤثرات صوتية، ومرئية، تظهر وفقاً لاستجابة المتعلم للبرنامج بواسطة الكمبيوتر، في بيئات التعليم الفردي.

نظام الإشراف السمعي: ظهر هذا النظام عام (1961)، على يد عالم النبات الأمريكى (يوستلت ويت) أستاذ النبات بجامعة برديو بولاية انديانيا الأمريكية، وتعتمد فكرته التسجيلات الصوتية ، بوصفها مصدرًا أساسًا لتقديم المعلومات، كما تستخدم لتوجيه الطالب، وإرشاده أثناء عملية التعلم، وتُعرض المادة المسجلة بصوت المعلم، أو استاذ المادة؛ لخلق الألفة بين المعلم، والطالب، ويستطيع الطالب أن يتحكم فى عرض المحتوى، إذ يمكنه إيقاف التسجيل عند نقطة معينة، ليقوم بنشاط معين، ثم يعود مرة أخرى لمتابعة التسجيل كما يمكن للطالب أن يعود للاستماع إلى أجزاء معينة فى أي وقت شاء ، وكذلك تستخدم التسجيلات؛ لتعزيز استجابات الطالب بعد قيامه بنشاط ما .

التعلم الموصوف للفرد: استُخدم هذا النظام في مرحلة التعليم قبل الجامعي في الولايات المتحده الامريكيه وقد ظهر عام (1964)، وتقوم فكرة التعلم الموصوف عن طريق دورات متتاليه من التدريس العلاجي؛ إذ يتم تحديد جوانب الضعف لدى الطلبة، وتُعد الأهداف التعليمية ، والاختبارات المتنوعة من المكونات الأساسيه للنظام.

الحقائب التعليمية: تعتمد الحقائب التعليمية التعلم الذاتي كفلسفة للعمل، فهي إحدى نماذجه وتجلياته، بشكل يجعلها وسيلة فاعلة؛ لتوفير الوقت، والجهد، مع الاستغلال الأمثل للوسائل التعليمية المتوفرة.

إن استخدام الحقائب النعليمية، يحقق مبدأ مراعاة الفروق الفردية، كما يدعم تفريد التعليم؛ بُغية توفير الظروف المُلائِمة لكل متعلم؛ لِيَسِير وفق سرعته الذاتية ، وتوجهه الشخصي؛ لتنمية مهاراته ومعارفه، وتعزيز مكتسباته، الأمر الذي يُظهر الحقائب التعليمية بوصفها استراتيجية تعليمية حديثة يمكن اعتمادها، للوصول إلى الأهداف المبتغاة.

الخاتمـــــــــة

يؤكد تفريد التعليم على أن المتعلم هو محور العملية التعليمية، كذلك يغير طبيعة عمل المعلم من شخص يصب المعلومات في الوعاء الفارغ (المتعلم) إلى موجه للعملية التعليمية ومرشد لها.

ويعتمد تفريد التعليم معدل أداء المتعلم ويرتبط بقدراته ، ويراعي بدرجة كبيرة بطيء التعلم، بتركيزه على التعزيز الفوري، وفق نظرية سكينر للتعزيز الفوري .

ويُمكن القول أن تفريد التعليم يتميز بسهولة احتوائه والتعامل معه، كونه يتضمن أشكالاً تعليمية كثيرة، مثل التعليم المبرمج، والتعليم الموصوف، والتعليم الشخصي، والحقائب التعليمية، والإشراف السمعي، وما إلى ذلك، كما يتميز بإمكانية تطبيقه في المراحل التعليمية كافة، ابتداءً من مرحلة ما قبل المدرسة ، وانتهاءً بمرحلة الدراسات العليا من التعليم.

وفي ذات السياق، يُمكن القول أن لسانَ حال تفريد التعليم يقول: أيها الطالب إنني أراك وحدك، وأفكر بك وحدك، وأهتم بك وحدك، فانطلق وتعلم وفق ميولك، ورغباتك، ووقتك الذي تريد، فأنت قائد المسار التعليمي التعلّمي المرغوب، وأنت مخطط المسار المستقبلي المنشود.

قائمة المراجع

References

الحياني، صبري و محمد ابتسام. (2019). استخدام التعليم الإلكتروني في معالجة مشكلات تعلم الطلبة. *المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، جامعة الأنبار*، 111 - 126.

السلطاني، نسرين حمزة. (2018). اتجاهات معلمي ومعلمات العلوم العامة في المدارس الابتدائية نحو تفريد التعليم. *مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل*، 871 - 880.

مجد خضر . (14 8, 2016). *تفريد التعليم*. تم الاسترداد من موقع موضوع: https://mawdoo3.com/

مرعي، توفيق أحمد و الحيلة محمد محمود. (1998). *تفريد التعليم*. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

موافي، خالد محمد. (6 6, 2006). *الاسس النظريه لتفريد التعليم*. تم الاسترداد من منتديات المنشاوي: https://www.minshawi.com/